د . هاني عمران: محاضرات علم الاجتماع

المحاضرة- 10

انقسام المجتمع حسب الجنس والعلاقات بين الجنسين

1- أهمية انقسام المجتمع الإنساني والنوع البشري إلى ذكور وإناث

يوجد للمجتمع بنية ، وكل ذي بنية ينقسم إلى عناصر وأجزاء (متعلقات) وعلاقات تنشأ بين هذه العناصر . إن انقسام المجتمع الإنساني الواحد إلى فئات متعددة هو ظاهرة اجتماعية أصيلة في تاريخ المجتمع الإنساني، وهو كلّي شوهد في كافة الحضارات المعروفة. ويبدو أنه أمر وثيق الصلة بالطبيعة البشرية وطبيعة الحياة الاجتماعية ، يرتبط بوجود الناس وتدبير شؤونهم وتحقيق نمائهم وتقسيم الأعمال وتوزيع المغانم والمغارم بينهم. ويُعدّ الانقسام الاجتماعي المتزايد أحد مبادئ تطور المجتمع، أي كلما ازداد تطورا إزداد انقساما. وتُعدّ ظاهرة انقسام البشر إلى ذكور وإناث إحدى أقدم ظواهر الانقسام .

لقد أثار هذا الانقسام بين الجنسين وطبيعة العلاقات القائمة بينهما نقاشا محتدما ومتواصلا على صعيد الفكر الإنسان، كما ترك سجالا لا نهاية له في ميدان الواقع ومسرح الحياة . وقد شهدت هذه العلاقات في تاريخ تطور النوع البشري مراحل توتر أو انحراف عن الحالة الإنسانية السوية، حصل فيها ظلم ومعاناة لأفراد أحد الجنسين ، لكن المجتمع البشري أثبت أنه قادر على تصحيح مساره . ومهما يكن الأمر يظل هذا الانقسام إلى جنسين مكمنا من مكامن الخير، ومصدرا للتقدم، وملهما للجمال والإبداع لدى المجتمع البشري ، يُخرج العلاقة الإنسانية من رتابتها ويضفي عليها الحيوية .

2- مفاهيم وحقائق

أدى تقدم العلم في هذه الأيام إلى التمييز بين مفاهيم كانت حتى الماضي القريب متداخلة ، تثير قدرا كبيرا من الالتباس والغموض. ومن أهم هذه المفهومات التالي:

الجنس

يشير مفهوم **"جنس"** sex الشخص إلى مجموعة الخصائص البيولوجية والفسيولوجية (الأساسية والثانوية) وبخاصة المتصلة بالعملية الإنجابية التي تميز الذكور عن الإناث. إنه تقسيم أفقي يقوم بعملية تصنيف، يقارن بين خصائص الجنسين استنادا إلى علاقتي المساواة والاختلاف، مميّزا بين هويتين مختلفتين- الهوية الذكورية والهوية الأنثوية.

الجنوسة (النوع الاجتماعي)

ويشير مصطلح "**الجنوسة**" gender إلى الرموز والمعاني والتفسيرات الثقافية والدلالات الاجتماعية التي تُعطى لهذه الخصائص المتمايزة للجنسين، فهي تتضمن أحكام قيمة وتفضيل ومزايا تتصل بالمكانة والأدوار الاجتماعية، مستندا إلى علاقتي " أكبر من " أو "أصغر من" . إنه يقسم الجنسين تقسيما رأسيا. وهذا ما يحمله مفهوم "الجنوسة" أو "النوع الاجتماعي" .

الجنسانية

أمّا مصطلح "**الجنسانية**" sexuality فيشير إلى ما يعرف بالعلاقات الجنسية، الوثيقة الصلة بالعملية الانجابية.

التفوق الجنسي

هو الاعتقاد بتفوق أحد الجنسين على الآخر . وهذا ما لم تثبته الدراسات العلمية في شتى المجالات حتى الآن. لقد أشارت دراسات متعددة إلى وجود اختلافات في البنية التشريحية العامة وحجم الدماغ وتركيبه وبعض الوظائف العامة للجسم ، كما أظهرت تباينات في عمل الغدد والهرمونات والجينات... .
إن هذه الاختلافات تقر حقيقة تباين الجنسين وتثبت وجود الهويتين المختلفتين. لكنها لا تثبت تفوق أحدها .
إن فكرة التفوق قد جاءت بها الثقافة عبر التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها . إنها عقيدة اجتماعية (إيديولوجيا) اعتقدت بتفوق جنس الذكور على الإناث، سادت في ظل النظم الأبوية (البطريركية)، رافقها تباين في نظام التدرج الاجتماعي والمكانة الاجتماعية للجنسين وتقسيم عمل ظالم داخل المنزل أو خارجه ، ومزايا غير عادلة أخرى ، وهي جميعا لصالح الذكور .

3- ثلاثة أنظمة مختلفة من العلاقات بين الجنسين

شهد تاريخ البشرية ثلاثة أنظمة مختلفة للعلاقة بين الجنسين (الذكور والإناث) هي:

النظام الأموي

تشير الدراسات الانثروبولوجية إلى أن التاريخ البشري شهد حقبةطويلة تمثّل ماضي البشرية قبل أكثر من خمسة آلاف سنة من الميلاد، وهو ما يُدعى النظام الأموي، كانت فيه السيادة والسلطة والثروة وملكية المنزل وصنع القرار وحتى النسب للمرأة (الزوجة أو الأم). وبالطبع تشكك دراسات كثيرة بوجود هذا النظام أو بعموميته، بالرغم من وجود بعض رواسبه وبقاياه وآثاره وأشكاله عند شعوب بدائية معاصرة.

النظام الأبوي

النظام الأبوي (أو البطريركي) الذي نعيش بين ظهرانيه اليوم ، والذي يعطي الرجل المزايا الآنف ذكرها. وقد شاع فيه ظلم المرأة وانحطاط منزلتها وتشويه صورتها وتهميشها في الأسرة والمجتمع .

نظام المساواة بين الجنسين

وظهرت خلال الحقبة الحديثة حركات إصلاح اجتماعية وحركات نسوية تطالب بإصلاح الوضع أو تصحيح العلاقة بين الجنسين في ضوء العلاقة الإنسانية التي باتت تضبط معاييرها منظومة حقوق الإنسان. "المساواة بين الجنسين" feminism هي الدفاع عن المساواة الاجتماعية بين الجنسين في مواجهة الأفكار والمواقف والاتجاهات والممارسات التمييزية العنصرية المبنية على الاعتقاد بتفوّق أحد

الجنسين، وبخاصة تلك التي رافقت النظام الأبوي في الحقبة المعاصرة . وقد تجلى ذلك في مطالب تلك الحركات التي شملت الآتي:

- زيادة المساواة بين الجنسين في الأسرة والمجتمع .
- توسيع الخيارات المتاحة أمام الأفراد من الجنسين لتطوير أنفسهم .
- مكافحة العقائد والصور والممارسات التمييزية لأي من الجنسين، انطلاقا من مبدأ المساواة المبدئية في القيمة والحقوق.
- إزالة الفروق الطبقية بين الجنسين
- إنهاء العنف الجسدي والنفسي والجنسي في نطاق الأسرة والمجتمع.

4- الأبعاد الاجتماعية للعلاقات بين الجنسين

الجنوسة والتفاوت الطبقي - العمى الجنوسي

توجد في جميع المجتمعات الطبقية التاريخية مزايا للذكور تفوق مزايا الإناث، ينعكس ذلك في الوضع الطبقي للجنسين . درجت دراسات التدرج الاجتماعي على دراسة تراتب الذكور، معتبرة أنه يعكس تراتب الإناث أيضا، فكانت تعتبر طبقة الأنثى مساوية لطبقة وصيها . لكن الدراسات اللاحقة أظهرت أن التركيب الطبقي للإناث مختلف عن التركيب الطبقي للذكور في المجتمع .

فكانت التوصية تقضي بوجوب دراسة الوضع الطبقي للمرأة بمعزل عن وضع الرجل، تجنّبا للعمى الجنوسي في عملية التدرّج الاجتماعي.

الجنوسة والأسرة - هل أصبحت الأسرة سجنا للمرأة ؟

أشار دعاة المساواة بين الجنسين إلى أن الأسرة ليست دائما ملاذ الأمان ومنبع الحب والحنان، وليست مؤسسة تعاونية قائمة على المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة؛ بل ربما كانت الأسرة أحيانا مصدرا لاستغلال المرأة وترسيخ اللامساواة بين الجنسين وأشبه بالمنفى أو السجن اللذين تُعزل فيهما المرأة عن الحياة.

لقد نجحت بتي فريدان في عام 1965 في التنبيه إلى معاناة المرأة في البيت، وتحدثت عن "الزوجات الأسيرات" ، أي المعتقلات في منازلهن. ويمكن تلخيص مظالم المرأة في الأسرة بالآتي:

- التقسيم غير العادل للعمل بين الرجل والمرأة: فقد فُسّر التقسيم التقليدي القائل أن "الرجال للأعمال الخارجية ، والنساء للأعمال البيتية" على أنه امتداد للنظام الأبوي (البطريركي) السابق على عصر التصنيع، وأن الرأسمالية قد عمقت مساوئه .
- علاقات القوة غير المتكافئة داخل الأسرة التي تنعكس في ظواهر العنف المنزلي والفحش بالمحارم.
- الدور الأكبر للمرأة في أنشطة الرعاية: إذ تقوم النساء بمعظم أعمال الرعاية والتمريض ضمن المنزل مثل رعاية المسنين والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة.

الوظيفة النقدية-الإصلاحية لمصطلح الجنوسة

سرعان ما بدا للمصطلح وظيفة نقدية كشفت نقاط الضعف التي ظهرت في البحوث المختلفة، بإهمالها القهر الذي مورس على النساء على مدى تاريخ طويل كتبه الرجل، وطمس به قيمة عمل المرأة المنزلي بكونه غير مدفوع الأجر. وبذلك يصبح *"تحليل الجنوسة"* أداة لكشف الفروق بين الجنسين مع مراعاة خصوصية الأنشطة والظروف والاحتياجات والوسائل التي تؤثّر في تحكمهما في الموارد ووسائل الإفادة من التنمية واتخّاذ القرار. أي أنه يهدف إلى طرح موضوع العلاقة بين الجنسين على مستوى المكانة والأدوار بموضوعية علمية.

تؤسس الجنوسة على البنى الاجتماعية والثقافية السائدة في مجتمع ما محدد مكانيا وزمانيا، هذه البنى هي التي تحدد سمات الأنوثة والذكورة، المقبولة والمرفوضة، تبعاً للطبقة والشريحة الاجتماعية والسلالة أو العرق. وبذلك يتقاطع المصطلح مع مفاهيم أخرى كالطبقة والعرق التي تساهم جميعاً في صوغ معاناة النساء.

وهكذا يصبح مستحيلاً فصل "الجنوسة"عن التقاطعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تفتجه.

بعبارة أخرى يشير المصطلح على *المستوى الرمزي* (المفاهيمي- الثقافي) إلى الصور النمطية الثقافية للرجولة والأنوثة ، بينما يشير على المستوى البنائي- الاجتماعي إلى تقسيم العمل على أساس الجنس في المؤسسات والتنظيمات.